

## الألفاظ الموضوعة في مطلع عصر النهضة مقبوليتُها وشُيوعُها

د. ممدوح محمد خسارة

أستاذ جامعي

خبير في مجمع اللغة العربية

يلاحظ متتبع الحركة العلمية والثقافية في الحضارة العربية، أن المصطلحات والكلمات الأجنبية الجديدة كانت تدخل حيز الاستعمال فيستعملها العرب في تواصلهم الشفاهي والكتابي معربةً أو دخيلةً إلى حين، ثم ما يلبث العلماء واللغويون أن يعملوا على وضع المقابلات العربية الفصيحة لها، ممّا كان يؤدي في المحصلة إلى تنمية اللغة العربية وتطويرها بزيادة ثروتها اللغوية وإغنائها.

وقد لمسنا هذا في عصر النهضة الترجمية الأولى في العصر العباسي، إذ استعمل العرب في ترجماتهم ومؤلفاتهم مصطلحات أعجمية دخيلة من مثل (قاطيغوري وأرثماطقي، وريطوريقا، وأسطقس...) <sup>(1)</sup>؛ وذلك كي لا يقف المصطلح حجر عثرة في وجه العلم الذي ينقلون، كأنهم كانوا يدركون أن العلم غاية واللغة وسيلة، ولا يصح أن يضحيّ بالغايات لغياب الوسائل.

ولكن ما لبث اللغويون أن تنبهوا إلى الخطر الذي قد يمثله الغزو المصطلحي الأعجمي، فنهضوا لوضع المقابلات العربية لتلك المصطلحات، فقالوا بدلاً منها: (المقولات، والحساب والخطابة والعنصر...). وتجسّد تلك العملية انتقال المجتمع العربي من مرحلة الاستهلاك والاتباع إلى مرحلة الإنتاج والإبداع.

وهذا عينه ما حصل في عصر النهضة الترجمية الثانية في مطلع القرن العشرين. إذ شاعت بين العرب الكلمات الأجنبية من التركية والإنكليزية والفرنسية من مثل (جورنال وبوسطة وإيديولوجية) ثم ما لبث العلماء واللغويون العرب أن نهضوا لوضع المقابلات العربية لها ولأمثالها من الكلم الأجنبي فقالوا: (جريدة وبريد وعقيدة...).

لقد وضع العلماء واللغويون العرب مقابلات كثيرة للمصطلحات وألفاظ الحضارة الجديدة، ولكن، إذا كان بعض تلك المقابلات قد شاع ودخل العربية المعاصرة مسهماً في إغناء ثروتها اللغوية، فإن بعضها لم يكتب لها القبول والشيوخ. وفي محاولة لمعرفة نسبة ما قبل وشاع منها، وتبين علة المقبولية والشيوخ كان هذا البحث.

تناولنا بالدراسة أربع مجموعات من ألفاظ الحياة اليومية أو ألفاظ الحضارة، مما عرّبه أو وضعه مجمع مصر الأول (1893) ومجمع مصر الثاني (1910)، والمجمع العلمي العربي بدمشق (1919). وما وضعه اللغوي الشيخ أحمد رضا، في مقابل ألفاظ أو عبارات متداولة رأى تصويبها واختيار الأفضل لها.

ولا يعني كلامنا هذا أن تلك الجهات الأربع هي التي وضعت حتماً تلك المقابلات العربية وأنها صاحبة الفضل فيها، ذلك أن بعض المقابلات ورد لدى أكثر من جهة ككلمات (مرحى، بهو، شرطة، أريكة...) مما لا يُمكننا من عزو الكلمة لواضعها تماماً.

### أولاً: نسبة القبول والشيوخ في الأوضاع اللغوية

#### 1. ما عرّبه مجمع مصر الأول<sup>(2)</sup>:

يطلق اسم مجمع مصر الأول على الجمعية اللغوية التي أنشأها لفيف من العلماء اللغويين الغُير على العربية، من أبرزهم الشيخ محمد عبده وعبد الله فكري، وإبراهيم المويلحي وحفني ناصف.

وهذه الجمعية — وإن انفرط عقدها بعد حين — تعدُّ أولَ هيئة لغوية عربية في العصر الحديث.

وَضَعْتَ هذهَ الجمعيةَ ثمانِي عشرةَ كلمةَ عربيةَ مقابلةَ للألفاظِ الأجنبية، والذي شاعَ منها سبعَ كلماتٍ هي:

|            |      |       |      |        |         |
|------------|------|-------|------|--------|---------|
| برافو      | مرحى | صالون | بهو  | جوانتي | قَفَّاز |
| كوردون     | وشاح | بالطو | معطف | بوليس  | شرطي    |
| بورت مانتو | مشجب |       |      |        |         |

فيكون نسبة ما شاعَ منها نحو 38% .

## 2. ما عَرَّبَهُ مجمع مصر الثاني<sup>(3)</sup>:

وهو جمعية لغوية أُحْدِثَتْ في كلية دار العلوم بالقاهرة. وضعت هذه الجمعية (123) كلمة عربية مقابلة لعبارات أو كلمات عامية، وبعضها لمصطلحات أجنبية هي مدار بحثنا. وقد بلغت الكلمات العربية المقابلة لمصطلحات أجنبية (55) كلمة، والذي شاعَ منها (31) كلمة هي:

|            |                    |            |           |          |         |
|------------|--------------------|------------|-----------|----------|---------|
| أنفيتيانتر | مُدْرَج            | كارت فيزيت | بطاقة     | بويا     | صِبغ    |
| خارطة      | خريطة              | دوسيه      | ملف       | فونوغراف | الحاكي  |
| اسبيتاليه  | مستشفى (بیمارستان) | كلينيك     | مستوصف    | بوفة     | مقصف    |
| تلغراف     | برق                | عفارم      | مَرَحى    | قومسيون  | لجنة    |
| أوتوموبيل  | سيارة              | اكسبريس    | قطار سريع | بنطالون  | سروالة  |
| تمرجي      | ممرض               | تَمَلَّى   | دائمي     | دونمانة  | أسطول   |
| صالون      | بَهو               | قشلاق      | تُكْنَة   | يمكخانة  | مطعم    |
| برجل       | فرجار              | نوتة       | مذكرة     | قومندان  | قائد    |
| فنار       | منار               | فرشة       | فرجون     | برميل    | برميل   |
| طازة       | طازج               | قزان       | مِرْجَل   | جلفق     | درايزين |
| نجفة       | ثُرِيَّا           |            |           |          |         |

وعلى هذا تكون نسبة الشيوع أو القبول 56% من الكلمات الموضوعية.

### 3. ما عربّه المجمع العلمي العربي بدمشق<sup>(4)</sup>:

وضع مجمع اللغة في بداية عهده في عشرينيات القرن العشرين (147) كلمة عربية أو معربة لمقابلة مصطلحات أو عبارات أجنبية أو عامية، أو عربية أعاد النظر فيها.

والذي يهمننا هنا هو الكلمات التي وضعها مقابلة للمصطلحات أو الألفاظ الأجنبية من تركية أو فرنسية، وقد بلغت هذه المقابلات (78) كلمة أو مصطلحاً، شاع منها (41) كلمة وهي:

|                  |                 |              |           |              |         |
|------------------|-----------------|--------------|-----------|--------------|---------|
| بوليس            | شرطة            | دركنار       | حاشية     | أوده جي      | فرأش    |
| نوبتجي           | آذن - بواب      | نمرو         | رقم       | ستاتستيك     | إحصاء   |
| خرجراه           | نفقات سفر       | رابور        | تقرير     | ورق بول      | طابع    |
| قوجان            | قسمة            | قاصة         | خزانة     | قولتق        | مُتْكَأ |
| باس باس          | ممسحة           | دوسيّه       | إضبارة    | روزنامه      | تقويم   |
| استامبة          | محبرة الخاتم    | زيل          | منبه      | صوبا         | مدفأة   |
| اختراع براءتي    | امتياز الاختراع | بيل          | بيل       | نتن          | تبغ     |
| سيكاره           | لُفافة          | شوكولاته     | شوكولات   | كرتون        | مقوّى   |
| جيلاتين          | هلام            | بيليت        | تذكرة سفر | بسابورط      | جواز    |
| بارمي            | رخصة            | لوج          | مقصورة    | كادر         | ملاك    |
| بوردرور          | جدول الرواتب    | كوردون       | وشاح      | بنطالون      | سراويل  |
| جاكت             | رداء            | كبوت له قبعة | برُئْس    | دوسيّه تنضيد | إضبارة  |
| دوسيّه لفّ أوراق | ملفّ            | تلفون        | هاتف      | قولأوكه ريت  | محرس    |
| أسانسور          | مصنعد           | باش بزق      | غير مجنّد |              |         |

وبهذا تكون نسبة الشيوخ 52% من الكلمات الموضوعية.

### 4. ما عربّه الشيخ أحمد رضا<sup>(5)</sup>:

وضع اللغوي الشيخ أحمد رضا مقابلات لـ (132) كلمة أجنبية أو عامية أو عربية رأى

أنها تحتاج إلى تصويب. والذي يدخل في إطار بحثنا منها هو الكلمات التي وضعها مقابلة للمصطلحات أو الكلمات الأجنبية، وهي (51) كلمة والذي شاع منها سبع كلمات هي:

|        |           |        |       |
|--------|-----------|--------|-------|
| صوفا   | أريكة     | بيجامة | منامة |
| بولفار | جاده      | فوتوي  | كنبة  |
| مترئوز | مدفع رشاش | بلوكاج | رصف   |
| ترمس   | ترمس      |        |       |

وبذلك تكون نسبة القبول 13٪ من الكلمات الموضوعه.

### ثانياً: عوامل القبول والشيوع

إذا كان البحث الإحصائي لما وضع من ألفاظ الحياة اليومية أو الحضارة وما قبل منها مهماً، فإن الأهم منه تبين عوامل مقبولية الكلمات وشیوعها وتعليل ذلك.

وقد أدى بنا النظر والتفكر في الكلمات والمصطلحات التي شاعت، إلى تقدير بعض العوامل التي يسرت ذلك الشيوع، وأبرزها:

#### 1. اعتدال عدد أحرف الكلمة:

بلغت الكلمات التي عُرِبَتْ أو وضع مقابل عربي لها (202) كلمة، والذي شاع منها هو (86) كلمة، وعلى هذا تكون النسبة المئوية لما شاع من الموضوعات نحو 43٪ منها. ولدى توزيعها بحسب عدد أحرف كل كلمة تبين مايلي:

الثلاثية: 8

الرباعية: 32

الخماسية: 27

ما فوق الخماسي: 12

المركب: 7

ويلاحظ من هذا أن أكثر الكلمات شيوعاً هي الرباعية والخماسية. وإذا كان من الطبيعي أن ينأى اللسان عن الكلمات الطويلة فإن القارئ يتساءل: لماذا قلّت الكلمات الثلاثية وهي أسهل نطقاً وأخف؟ والجواب أن غرض المصطلح هو تأدية دلالة، وغالباً ما تكون هذه الدلالة زائدة على الدلالة الأصلية للكلمة، فإذا كانت الصيغة الثلاثية تعبّر عن الدلالة الأصلية، فإن الدلالة الزائدة تحتاج إلى زيادة أحرف على الكلمة، لأن زيادة المبنى تفضي إلى زيادة المعنى. والمعروف أن العربية لغة اشتقاق، فهي تعتمد إلى اشتقاق كلمات جديدة من جذورها الثلاثية والرباعية بزيادة عليها أو تغيير في حركاتها.

ويبدو أن شيوع اللفظ لا يتعلق بعدد أحرفه بقدر ما يتعلق بقدرته على الدلالة، وأن اعتدال عدد أحرف الكلمة من وسائل شيوعها.

## 2. خفة النطق وسهولته:

السمة الغالبة على الكلمات المقبولة هي سهولة النطق بأصواتها أي حروفها وخفتها. وتتجلى هذه الخفة بأمرين:

أ. تباعد مخارج أصوات الكلمة نحو أحرف الكلمات (الجنة، مطعم، برق...). ولعل هذا ما يفسر شيوع كلمة (شرطي) دون مرادفاتها الأخرى المقترحة وهي (شحني - جلواز - ثورور). ومع أن كلمة (مستشفى) لا تخلو من ثقل مردّه إلى اجتماع السين والشين، وبينهما حرف نطعي قريب المخرج منهما، فإنها تبقى أقرب إلى الإيقاع الصوتي العربي من مقابلتيها كلمتي (اسبيتاليه، أو بيمارستان)، وبالنظر لما تشعر به كلمة (مستشفى) من ثقل، فقد صار الناس يميلون إلى استعمال كلمة (مشفى)، لخفتها وخفة جمعها على (المشافي).

ب. الإيقاع الصوتي العربي: وهذا ما يشترط في الكلمات المعربة، فمن مسوغات قبول الكلمة المعربة خضوعها للنظام الصوتي العربي الذي يعني من ضمن أشياء أخرى مراعاتها للإيقاع الصوتي العربي. ونعني بالإيقاع الصوتي العربي تتابع حركات الكلمة وسكناتها وحروف المد فيها بما يتفق وبنية الكلمة العربية. والإيقاع الصوتي العربي للمعربات نظير

للوزن الصرفي للعربيات، ذلك أن المعرَّب لا يوزن، إذ الوزن وسيلة صناعية لمعرفة الحرف الأصلي والزائد في الكلمة العربية، ولما كانت حروف المعرَّبات كلها أصول لعدم معرفة الزائد والأصلي فيها، اقتضى أن تُعدَّ حروفها كلها أصولاً<sup>(6)</sup>، وأن نطلق على نظام تتابع حركاتها وسكناتها ومدودها اسم الإيقاع الصوتي<sup>(7)</sup>.

والملاحظ أن الكلمات الموضوعية تعريباً وشاعاً، قد جاءت كلها على الإيقاع الصوتي العربي من نحو (برميل، ترْمُس، طازج) ولعل من أجل ما ذكرنا عُرِّبت كلمة (Baril) إلى (برميل) وليس (باريل)، لأن إيقاع (برميل) يتوافق ووزن (فَعْلِيل) العربي بخلاف (فاعيل)..<sup>(8)</sup>

ومع ذلك فقد وجدنا بين الكلمات التي شاعت كلمات يصعب وصفها بالسُهولة والخفة، من مثل (درازين، سراويل، مشجب، فرجار...) . ويمكن تعليل قبولها بانعدام البديل اللغوي الأخف لها، حالياً على الأقل.

ويجدر التنبيه على أن خفة الكلمة العربية أو المعرَّبة إنما تعرف بمقارنتها بمقابلتها الأجنبية البديلة، بصرف النظر عن جذرها، فقد تَدْنِيع كلمة عربية ولا تَدْنِيع أخت لها من جذرها اللغوي نفسه، وما ذلك إلا لأن الكلمة العربية قد تكون أخف من الأعجمية في صيغة ولكنها أثقل منها في صيغة أخرى. فقد شاعت كلمة (هلام) مقابل (جلاتين) وشاع أيضاً النسبة إليها (هلامي)، ولكن لم يشع اسم المفعول منها (مُهَلَّم) فما زالت كلمة (مُجَلَّتَن) المعرَّبة هي المستعملة.

ويحضرني في هذا المقام كلمتا (إذاعة ومُذِيع) اللتان انتشرتتا وراجتا بين الخاصة والعامة. ولم تَرُج وتنتشر كلمة (مذيع) من الجذر نفسه، بل بقيت الكلمة الدخيلة (راديو)؛ وتعليل ذلك أن كلمة (إذاعة) العربية أخف من مقابلتها (émission) الفرنسية، وكلمة (مذيع) العربية أخف من مقابلتيها الفرنسيَّتين (annonceur، divulgateur)، حتى إن الفرنسية غَزِيَتْ بالكلمة الإنكليزية (speaker).

وهذا ما يدعونا إلى أن نبحث عند وضع المصطلح لا عن الكلمة العربية فحسب، بل وعن إيقاعها الصوتي وأدائها النطقي بالقياس إلى مقابلتها الأجنبية.

ومن مظاهر الخفة أن تكون الكلمة مفردة لا مركبة، لأن الكلمة المفردة يسهل التعامل معها اشتقاقاً وتعريفاً ونسبة بخلاف المركبة. ولذلك وجدنا من بين الكلمات الست والثمانين التي شاعت سبع كلمات مركبة هي: قطار سريع، نفقات سفر، محبرة خاتم، امتياز اختراع، تذكرة سفر، جدول رواتب، غير مجند.

ويُفسّر ميل الناس إلى الكلمة المفردة بدل المركبة بما تعبر عنه اللسانيات بقانون الاقتصاد اللغوي أو الجهد الأقل، الذي يجعل المتكلم يفضل الكلمة التي هي أقل حروفاً وأخف نطقاً. وهذا أيضاً ما يؤكد علم الدلالة بأن الكلمة المفردة هي أوسع الوحدات الدلالية انتشاراً في كل اللغات.

### 3. الوضوح وشفافية الدلالة:

مما يعمل على قبول الكلمة الموضوعية قرب معناها إلى ذهن السامع، ويتحقق هذا بوضوحها وشفافية دلالتها. ولعل هذه الخاصية وراء شيوع الكلمات المولدة الجديدة، على حساب الكلمات التراثية التي وهنت الصلة بين دلالتها وبين ذهنية المتكلم المعاصر أو مخزونه اللغوي. فقد تكون الكلمة المقترحة أو الموضوعية سهلة النطق عذبة الإيقاع، ومع ذلك فإنها لا تروج؛ وما ذلك إلا لأن دلالتها بعيدة عن المتكلمين المعاصرين، وإلا فبماذا نعلل خمول كلمات مقترحة من مثل بذع (للموضة)، وشحنة (للبوليس)، وتأريف (للكادستر - تحديد الأراضي ومساحتها)، وطِرز (للفيلا) والاعتصار (لشانتاج)؟

والواقع أنه لا يمكن تلمس علة كساد ما ذكرنا من الكلمات إلا ببعدها عن المستمع لبعد دلالتها. وقد يدعم ما نذهب إليه أن الكلمات المولدة المعاصرة حظيت بقبول أكبر، فشاعت الشُرْفة (للبكون)، وأمين الصندوق (للكاشير)، والرّصف (لبلوكاج)، والابتزاز (لشانتاج)، وممرّض (للمرجي)، وبوّاب (لنوبتجي). وما ذلك إلا لأن هذه الكلمات الأخيرة تشي بدلالاتها



إن لم توضحها تماماً.

ومما يوضح الدلالة مجيء الكلمة الموضوعية على صيغة عربية أو بناء عربي كاسم الفاعل واسم المفعول واسم المكان وغيرها؛ لأن لهذه الأبنية دلالات ثابتة ألفها السامع العربي، لذا شاعت كلمات من مثل (سيارة، منار، منبّه، بواب) لأنّ أبنيتها تدل على بعض معانيها؛ ففعالة للآلة، ومفعّل للمكان ومفعّل للفاعلية، وفَعّال لصاحب المهنة ممّا قرّ في ذاكرة العربي.

#### 4. اعتمادها إدارياً وتعليمياً:

ثمة كلمات كثيرة في هذه القائمة، قد لا تكون أخفّ من مرادفاتنا ونظائرها في العربية، ومع ذلك فقد قبلت وشاعت، مثال ذلك كلمات (إضبارة، مستشفى، ثكنة، مستوصف، رجل، مذكرة...) ولا يمكن أن يعزى رواجها إلى امتيازها من غيرها، بل لأنها اعتمدت في الإدارة والتعليم، ولعل كلمة (إضبارة) أثقل من كل نظائرها (ربيدة، ملفّ، قمطر)، ومع ذلك فقد شاعت لاعتمادها إدارياً، وقل مثل ذلك في كلمات مثل (آذن، تقرير، قسيمة...) ومن الكلمات التي أشاعها استعمالها في التعليم كلمات مثل (رجل، طازج، هاتف...).

#### 5. الحداثة والتّوليد:

إن تتبعت الكلمات المقبولة يقفنا على ظاهرة لغوية لافتة، وهي كثرة الكلمات المولدة الحديثة فيها، وقلة الكلمات التراثية. وما جاء من الكلمات التراثية لا يعدو واحدة من اثنتين: إما كلمة معربة قديماً رسخت في العربية نحو (سروال، درابزين، فرجون)، وإما كلمة تراثية مألوفة واضحة الدلالة نحو (مرحى، وشاح، خزنة، أريكة).

وبالمقابل فإن معظم الكلمات التي لم تتقبّل ولم تشع كانت من الكلمات التراثية الموغلة في القدماء نحو: الشحنة (للبوليس) والغدان (لبورت مانتو)، والكجة (للتنس)، والقمطر (للدوسيه) واللهازم (للبرجوازية) والنجاش (للسوفور - السائق)..

وما ذلك لعيب في الكلمات التراثية الموغلة في القدماء، ولكن لعيب في منهجية الوضع والاصطلاح، إذ أراد اللغويون والواضعون أن يسوّقوا هذه الكلمات التراثية ضمن ألفاظ الحياة

اليومية أو ألفاظ الحضارة المعاصرة، وهي ممّا يتطلب سهولة ويسراً، فوضعوا الأمور في غير مواضعها. ولو أن هذه الكلمات القديمة خصّصت لمصطلحات علمية مقصورة على الخاصة لُقبِت تماماً، كما قبلت كلمات من مثل (وشيعَة وصنبور ومُكوك). على قدامتها.

وكنا ذكرنا أن الكلمات المولّدة حديثاً لقيت قبولاً وذبوعاً لوضوح دلالتها، بل إن النسبة الكبرى من الكلمات الشائعة هي من المولّدات وقد بلغت (32) كلمة أي نحو 37% من تلك الكلمات، مثل: (ملف، مستشفى، مقصف، مُمرّض، مطعم، ممسحة، هاتف...).

ومع كل ما ذكرنا من التعليل يحسن الإشارة إلى أمور:

أ. إن ألفاظ المؤسسات اللغوية، أهليّة كانت أم رسميّة، لقيت حظّاً من القبول والذبوع أوفر من تلك التي وضعها أفراد على علوّ مكانتهم اللغوية كالشيخ أحمد رضا والأب ماري الكرملّي والشيخ عبد الله العلايلي<sup>(8)</sup>. ولذلك تجدنا ندعو دائماً إلى العمل الجماعي ما أمكن، فالتوليد اللغوي ووضع الكلمات الجديدة تحتاج إلى إمكانات وملكات قلّما تجتمع لفرد واحد بعينه.

ب. إن السوق اللغوي والمستهلكين - إن صح التعبير - هما الحكم النهائي على كلمة ما. وقد كان أحد كبار المصطلحيين المحققين يذكر بهذه الحقيقة فيقول: ((دعونا نُسوِّق هذه اللفظة، والسوق حاكم، فإن اشتراها الناس وتداولوها أثبتناها في قوائم المصطلحات...))<sup>(9)</sup>.

ج. إن تعريب الإدارة والتعليم والإعلام، والنشر العلمي باللغة العربية، واستعمال الكلمات الجديدة في الأبحاث والمناظرات والمداولات هي خير الوسائل لإشاعتها، على ما كان حظّها من الخفة والنقل، فالاستعمال كفيّل بصقلها وتطوير الألسنة لها وترويجها.

د. ولابد من الاعتراف أخيراً بأن ثمة أسباباً مجهولة غير قابلة للقياس قد تكون وراء شيوع كلمة أو مصطلح دون غيره، ولعل هذا ما عناه الجاحظ بقوله: ((من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤدّيها الصفة))، فنحن ندرّكها ولا نستطيع تعليلها، وقريب من هذا ما نعبّر عنه اجتماعياً (بالحظ)، فلألفاظ حظوظ، كما للكتب حظوظ وكما للرجال حظوظ!!

### التوثيق

1. مصطفى الشهابي - المصطلحات العلمية في اللغة العربية.
2. الشيخ أحمد رضا - معجم متن اللغة - المقدمة ص 121.
3. الشيخ أحمد رضا - معجم متن اللغة - المقدمة ص 122-126.
4. إصلاح لغة الدواوين - مجلة المجمع العلمي العربي ح 1: 44-51، وج 2: 46.
5. الشيخ أحمد رضا - معجم متن اللغة - المقدمة ص 91-99 .
6. الخفاجي - شفاء الغليل: 23 وينظر د. مسعود بوبو: أثر الدخيل على العربية: 250.
7. لمزيد من التفصيل ينظر: د. ممدوح خسارة - منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث ص 59.
8. ينظر: الشيخ أحمد رضا - معجم متن اللغة - المقدمة، ص 121 وما بعدها.
9. د. قاسم السّارة - مقبولية الألفاظ المستحدثة؛ المؤتمر الرابع لمجمع اللغة العربية بدمشق (2005). والعبارة للدكتور محمد هيثم الخياط.

